

ناصر قنديل

فلسطين بانتفاضتها الجديدة تستحقّ منّا الكتابة في أكثر من موضع ومقال في «حديث الجمعة» هذا الأسبوع، من المختصر المفيد والحديث عن الانتفاضة الحالية ومقارنتها بالانتفاضتين السابقتين، إلى الصبّاحات التي تحيي فلسطين والمقاومين الميامين. إلى المشاركات شعراً ونثراً، التي بدورها تفيض بما يختلج الصدور إزاء فلسطين القضية وسورية الأبية. ولا ننسى الكلام عن الحبّ وما يدور في فلكه من عواطف وتحولات.



قال الصباح

● يطلع الفجر من خيط شفق وغسق وبينهما لمسة ضوء وندى وبراعم ياسمين، والموعد بين حلب ودمشق، حيث تنتفض في القلوب نبتة برية تزهر دما اسمها فلسطين. يورك جنوب العرب في لبنان، وجنوب جنوب العرب في فلسطين، وجنوب جنوب الجنوب في اليمن... كل الجهات جنوب وكل البلاد فلسطين.

● ربّ أخ لم تلده أمك، فمرحبا بالشقيقة روسيا... قال الجوري: «مرحب يا خوي»، ردّ الياسمين: «أهلاً سوخوي».

● أيها العربي، إذا لم تكن جندياً سورياً أو من رجال المقاومة، وشاهدت ما يجري في فلسطين، فلا تقل أنك تشعر بالفخر، إنما قل أنك خجول لكونك عربياً!

● دم الطفولة المسفوح على تراب فلسطين بأيدي «جنود الحضارة»، كروّس أطفال سورية فصلت عن أجسادها بأيدي «سوار الحزبة»، معروضة كبضاعة مرصوفة للبيع تنتفج دما. هي جميعها دموع مريم العذراء على صلب المسيح، وهي دموع زينب على حُرّ رأس الحسين وحمله على رمح... فلتبك الإنسانية الجبانة على عجزها خجلاً من حبّ الحياة، طالما أنها لم تجرّ على الفجور منذ بدء التاريخ.

● يتفرّج العربي على مشاهد عذاب أهله وموتهم على الشاشات ويقول: كان الله في عوالمهم... يحدث هذا سواء كان العذاب عراقياً أم فلسطينياً أم لبنانياً أم سورياً أم ليبيا، ويحدث إن كان المتفرّج مسؤولاً في جيش أو حكومة أو كاتباً أو شاعراً أو طالباً أو عاملاً بسيطاً... ويتفاخر العرب بأسطورة حبّهم للحياة كونهم يواصلون سخافة روتيتهم اليومي بوقاحة يسمونها شجاعة... أمة إن بقيت على هذه الحال ستصبح يهود التاريخ تعوي في الصحراء بلا مأوى.

● الحقيقة الناصعة تشرق بين أيدي شباب فلسطين. فيكفيهم ما يسمعونه ويقرأونه عن الرضا «الإسرائيلي» عن الحرب السعودية في اليمن، وعن الذعر «الإسرائيلي» من كلام السيد نصر الله، وما رأوه بأمر العين من استشفاء مقاتلي «النصرة والمعارضة السورية» في مستشفيات الاحتلال، ومن زعر «إسرائيلي» من قدوم الروس إلى سورية، حتى يدركوا بغريزتهم التاريخية من هو الصديق ومن هو العدو، ويوقّتا انتفاضتهم على ساعة الهجوم المعاكس لمحور المقاومة... هزمت انتفاضات جيل الإعجاب بالأخوان، وجيل «الجزيرة» وجيل «عزمي بشارة» وجيل «أولسو»، وينتفض اليوم جيل نصر الله والأسد وبوتين... وسينتصر.

● الحسين اليوم في فلسطين يمضي عاشوراء. أما في سورية فيوم الفتح واقترب الدخول إلى مكة واستعادة القدس... ولا مكان للبكاء في كليهما، إنما زغردة البناتق وصهيل الطائرات وزعيق الهاربين ونعيق المهزومين ونقيق النفاقين وصرير أسنان الخائفين، وقدم ثابتة لا تخلج، وفجر ينبج وإرادة لا تلين كحدّ السكين... اليوم سيخرج الرجال الرجال وسيبدأ النزال في كل مكان فلسيتعد الإنسان والجنان لموقعة العصر ومعزوفة الزمان... سترون ما لم تروه من قبل، وما لم تزه عين من قبل، وستسمعون ما لم تسمعوا من قبل، وما لم تسمع أذن من قبل... هي الساعة أذنت والساعة آذفة والأرواح راجفة واللحظة الخاطفة للضربة الهادفة... إنها العاصفة وما أدراكم ما العاصفة!

رياضيات في الكلام

● معادلة النجاح هدف، فثمن، فقرار. وغالبية الفاشلين يعرفون الهدف، لكنهم يريدونه بلا ثمن، ويهايون اتخاذ القرار. وعندما يستعدون، يكون الثمن قد تغير، والقرار قد صار أكبر.

● السكينة والقلق ميزان تفاعل القلب والعقل، متى منح القلب الشغف ومنح العقل الأمل. لأن الإنسان مفطور على ثنائية الحياة والموت بين القلق والسكينة... تصح في السياسة والحب والعمل.



حديث أمي

بعدها اشتدّت عليّ وطاة الحزن والاكتئاب من تجربة قاسية مرت بها، جلست إليّ والدتي محاولة إبعاد ما أنا فيه من قلق.

قالت: يا عنقودي الأخير، اسمعي مني ما أرغب قوله.

يحكى أن العود سئل إن كان ثمة آلة موسيقية أجمل منه وأشدّ تأثيراً على الروح فأجاب بغرور وهو يردّ رأسه إلى الخلف. ومنذ ذلك اليوم وراسه معكوفة إلى الورا بغيره.

آلة العود يا ابنتي آلة سحرية، تشبهك كما تشبه باقي أولادي. فلا تدعي اليأس يذهب بريق الكبرياء فيك.

أمي لن أنسى ما حببت يا حبيبتي كيف أنك حببتني بالعلم والتعلم، وكيف أنك عندما بدأت تلمس الأنثى في داخلي أخذتني من يدي إلى عالم آخر بعيداً عن عالم أترابي في تلك المراحل.

قلت لي وقتذاك: تحبلي بالعلم يا صغيرتي فهو جمال دائم لا يتأثر بتقدم العمر، لا بل يزيد توالي السنين تطوراً وثاقاً وقوة في الشخصية وأناقته في التعامل.

نجحت يا حبيبتني في صرفي عن الصغائر واقتنعتي أنّ الجمال تكامل ما في الداخل مع ما خصّ به الخالق كل إنسان من شكل خارجي.

مع قليل ممّا حقته وما ساحقته في مشوار العمر، أقول بكل فخر أنت بوصلتي يا رفيقة العمر، يا مثلي وصديقتي الصديقة يا أمي.

رشا مارديني

مختصر مفيد*

القدس تحت الحماية الدولية

● يقول تاريخ الحروب إنّ التنازل الذي لا يمكن أن يردّ طوعاً، عند أيّ طرف يستولي على حقوق الغير بالقوة ويعتبرها حقوقاً له ويختلق لها التبريرات العقائدية أو الاستراتيجية أو الحضارية، ويقول إنّ التنازل عنها قسراً يستدعي إنزال هزيمة شديدة به يصعب عليه القيام منها ومداواتها. بينما يقول تاريخ الصراع مع «إسرائيل» إن مرحلة التفاوض والتنازل التي تبديها «إسرائيل» كمؤسسة عندما تضعف قدراتها العسكرية أو موازين حمايتها الدولية، تضعف معها المؤسسة الحاكمة نفسها أمام الكتل التي يتكوّن منها تجمّع المستوطنين، ويعلو صوت المتطرّفين بينهم، بحيث يصير التمسك بالسقوط العالي طامعاً، وعنصر تهديد لأيّ حكومة في كيان الاحتلال، ويطغى خطاب القتل والتهجير والتوسع الاستيطاني إن أصبحت الحروب مستجيبة. فكيف عندما يكون التفاوض تحت سقف الدعوة إلى التخلي عن قدس أقداس المستوطنين المتطرّفين، الذي تمثله القدس والضفة الغربية. والقدس هنا هي بالتحديد القدس الشرقية، حيث المسجد الأقصى وميكل سليمان المزموم.

● تقدّم الانتفاضة الفلسطينية الثالثة فرصة ذهبية لتصحيح المسارين الفلسطيني والعربي في التعامل مع القضية الفلسطينية. إذ ينتفض جيل ثالث من شباب فلسطين الذين خبروا ما عاشه جيلان سابقان تحركا في انتفاضتي 1988 و2000، حيث انتهت خبرة الجيل الأول المتنفض تحت راية سقوط الرهان على العمل الفدائي عبر الحدود مع تحريك منظمة التحرير ومقاتلي الفصائل من بيروت للخيار نحو الداخل الفلسطيني، وتوجت الانتفاضة باتفاقيات أولسو عام 1993. بينما جاء اختبار الجيل الثاني للخيار الإسلامي الذي جسده الإخوان المسلمون بجناحهم الفلسطيني، الذي تمثله حركة حماس، وتوّج الاختيار بتحرير عرّة عام 2005، لكن الخيارين والاختيارين تكرّسا في ذاكرة الجيل الثالث الذي يصدّى للانتفاضة اليوم، بهزيمة الخيارين التفاوضي والأخواني، وخروجهما من موقع الأهلية لقيادة

ناصر قنديل

* ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

استاقوا متأخرين!

نعرف جميعاً القرع (القطلين)، تلك الثمرة التي هي من أقرباء الكوسا، إذ يغري القرع الأصفر قار المزارع الصغير، فيثقب القشرة ويدخل إلى لبها، ويبدأ بالتهاجم رويداً رويداً... وهائناً.

مع بداية الخريف، يصيب الجفاف ثمرة القرع، ولا يبقى في داخلها ماء ولا طعام، وتصبح قشرتها خشبية يصعب الخروج عبر ذلك النقب الصغير الذي يكمش مع نزوح الثمرة. وهنا، لا بد للفاقر من اتباع حمية غذائية قسرية، ليعود إلى جسمه قبل أن يدخل في جوف ثمرة القرع. وغالباً ما يتفج في داخلها جوعاً وعطشاً، وقد سُدّت في وجهه المناذ، وضاق به الحيل. وإن قدر له الخروج حيناً، فلن يعيش طويلاً. بعد قدرته على التأقلم مع محيطه الجديد من شمس وهواء ومخلوقات نسيها.

حال قار القرع يشبه إلى حد بعيد حال معظم المنتمين إلى تنظيمات أو مجموعات دينية تكفيرية، الذين دخلوا إلى سورية بعدما تركوا شهواتهم تقوّمهم إلى حيث يحصلون على المال والنساء والسلاح والحزبة في القتل والسلب والنهب وممارسة فجورهم المُستتر تحت عباءة الدين كما يشاؤون وينتمون. فيدخلون إلى أراضي «الجهاد» كما يدعونها، ويبدؤون بالتضخم بفعل الضخّ الإعلامي الذي كان ينفخ فيهم، والتحريض الطائفي والمذهبي والدعم بالمال والعتاد، إضافة إلى منحهم شرعية لجرانهم، حتى أصبحوا داخل مصيدة كبيرة لا يمكنهم الخروج منها على قيد الحياة. ومن هرب منهم ونجا بحياته، خرج بأمراض نفسية وجسدية لا سبيل إلى علاجها، بعد اكتشافهم كم كانوا مخدوعين ومُضللين بكلام شيوخهم ووعود داعيهم، بجنة يعيشون فيها مُخلدين وأرض يستبجئونها من دون مقاومة وجهاد، ما يجعلهم أبطالاً ونُؤاراً وقاتحين. وأنهم لم يكونوا سوى وقود لنار كبيرة، وقطيع ضحى به لأجل مطامع سادتهم الذين أرسلهم إلى الموت والهلاك.

راقبوا صفحاتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، وراقبوا كلامهم اليوم، وسترون الذعر في كل حرف. هم يستجدون أيّ مساعدة ممكنة، وأي مساندة لأنهم على شفير جهنم ينساقون فيها واحداً تلو الآخر، وتنظيماً بعد تنظيم. لا يهم كم طالوا وكم انتفضوا، ففي النهاية سيكون مصيرهم الهلاك. فإرض سورية القداسة لا تقبل النجاسة، ومهما يبدو المشهد الذي نراه اليوم قائماً سوداويًا يسيل منه الدم وتملؤه مشاهد القتل والتعذيب والجنون، إلّا أنّ الحقيقة أقوى من أكاذيبهم ووعود داعيهم، فهذه الأرض قد لفظت كل غزاتها مراراً وتكراراً، وسحقتهم وأحرقتهم بعدما ظنوا أنهم نالوا منها. وهذا ما سيحدث، ويكل ثقة. نعرف أن غزاة اليوم سيبتنون، وسيكون مصيرهم كما غزاة الأسس. وكل ثقة تقول كما كنا نردّد في المراحل الأولى من الحرب على سورية، إن سورياً أقوى، وستحلم جبروتهم على صخور صمودها.

صباح من صمدوا، صباح من قاموا الموت بالحياة والأمل، صباح الجيش العربي السوري.

وفاء حسن

وعدّ و عهد

التفتُ عن غير قصد إلى أرض لا تكسوها الدماء، أشجارها كما النساء والأطفال واقفات. لا وجوه يعلوها الشجوب وآثار الانكسار. ثم دأبت مخيلتي رغبة الاستسلام. فكل ما حولنا نار ودمار. طرقاتنا مليئة برائحة البارود والدخان. في ثناياها خوف من قنص أو انفجار. الأيق للإنسان استراحة ينسى فيها بعض الاكتئاب؟ حاولت تيرير كل أوهامي. بعدما سرقتني لهقة لتحقيق حلم الشباب والعيش بلا ضياب. وقلت: غداً، عندما ينجلي الظلام أعود راضية إلى أرض الأمان. لملمت ما استطلعت من حاجاتي في حقيبة لا تغرقها المحيطات. وأبحرت إلى حدائق الآمال وموطن الفراشات. إلى دهاء الشتاء وعليل نسائم الصيف في المساء. ذهبت في وضع النهار. فلم هو كالغروب بلا حياة أو نضارة؟ أنقلت الظلال فيه حبات المطر. وتكسرت على أطرافه نجوم السماء؟

قاحلة الحياة حولي وعلى العظام قارصة كالجليد. عروقي جفت حول قلب يئنّ جريحاً. أحس بالأختناق. بانقباض في الأطراف. كمصباح أطفأته رياح الظلمات. أو مركب يغرق مبتعداً عن سطح الماء. أصرخ... أصرخ مستجدة ولاصوت يخرج من الأحشاء. صمت... فراغ مخيف. من المدى أسمع همس أمي الحنون يخترق صخور الكابوس. فأفتح عيني وألمس أرض الدار. كل ما سبق كان أضغاث أحلام. أبتمس، أضحك وأطير فرحاً. بلادي، لا موطن لي غيرك... ووعد منّي ألا أترك أبداً.

رانيا الصوص

روعة الحلم!

قرأ في إحدى أوراقها يوماً: يا من تسلّقت أشواك الحلم في غضبية زمن جائر، هل تعلم أنه يديمك ويرميك في واديه... هناك، أقامت روح طفلة جرحتها الآلام العنيدة! فسألها: ألمست الأحلام ضوء الروود، لا الأشواك؟ فقالت: أعظم الأحلام، تلك التي تنتزعها من بين الأشواك... هي تلك، نفسها، التي تجده الريح وتقهروالوجع! لكن لا فرق لدى الريح بين وردة وشوكة، فهي تقتلعهما أحياناً من الجذور، أو تأتي قدم غاشمة فتسحقهما

سحر عبد الخالق

ألوان الحب

قالت له: أحبك وحبتي لك في قلبي كل يوم يزيد ويكبر. قال لها: هو الحب وعد، وأنا لم أنطق بوعد.

قالت له: هو الحب وعطاء وحنان. روح وإحساس. وأنت ملك الإحساس على عرش قلبي. ونبع من الحنان ترتوي منه روحي، في العطاء يخجل من طيب الكرم.

قال لها: وماذا تريدني في الحب أكثر من ذلك؟ عطاء يرضي روحك ويريح قلبك.

قالت له: أريد أن أعني معك كل ألوان الحب! إنما بطريقتي لا بطريقتك أنت.

قال لها: وهل للحب ألوان وطرق؟ قالت له: الحب واحد. وفي التعبيرات تختلف الكلمات. وطريق الحب معك يضني قلبي وشفاؤي.

قال لها: دعيني وشأني حتى يرتاح فؤادك، واسلكي في الحب طريق النسيان.

قالت له: طيفك لا يفارق خيالي، يوقظني دوماً من سكرة الأحلام.

قال لها: إذا، أحبيتي كما أنا...

قالت له: هو الخيال أرسلك كما اشتيتي أنا! قال لها: لقد سلّيت قلبي، وجمّدت عقلي وملكيت رجولتي. فلم أعد أرى غيرك من بين النساء؛ الأيكفكي كل هذا؟ قالت له: لا نسائتي عمّا أريد، إنما أعطني كل ما لديك. فانا استحقّ منك الكثير الكثير.

قال لها: أنانية أو غرور؟ قالت له: إنما هو حبّ وحنون. أنا قدرك وأنت قدرتي، وحبّنا هو رحلة العمر. فارم بكل ما لديك وتعال إليّ. تعال إليّ يا حبيبي. فأبنتي لا أريد منك شيئاً، ويكفيني أن أنتشق هواك، ثم شم ريحك إلى صدرتي، حتى أرتاح. فهل هذا صعب المنأ؟ قال لها: أنا ملكك، فأفعلي بي ما تشائين. فقد أشعلت قلبي جمره بعد كل هذا الحنان!

سناء أسعد

معلولا!

حبيبتني من تكون؟ في كل لقاء يجعمني بأصدقائي، أراهم يتهايمسون حائرين يتساءلون عن حبيبتني من تكون؟ من استطاع الوصول إلى قلبي وهو الصلب الذي لا يلين كصخورها السمرام الشامخة بالإيمان. لا يملون يتهايمسون إلى أن نفذ صبرهم، فقررت أن أرضي فضولهم والبوح عن محبوبيتي الغالية من تكون. على رغم أن كل حروف الأبيدية لا تفي وصفها. هي صغيرة المساحة، لكن لا حدود لعزمها وهيبته. كل من زارها واستنشق عبق نسائتها المقدسة وجال بناظره على تضاريس جسدها الأسمر الرشيقي أحبها. صهرت روحه في حنايا دجائل شمسيها الدافئة. هي العبيدة القريبة. بعيدة بالمسافة، وقريبة كما الروح للأنفاس. أحملها معي أين رحلت، ارتبط اسمي باسمها لشدة عشقي لها وهيامي بها. فلا تستطيع أن تذكر اسمي إلا ويظهر اسمها جلياً أمامك. تمك من السحر والجمال ما لم تملكه ملكات جمال العالم أجمع. لها لبغتها الخاصة. وحين تقترب منها تشعر بضيق ما إن يفرح حتى تراها تفتح ذراعها لاستقبالك بلطف. تنسيم عليل يشفي حين تدخل إلى رنتيك أنفاسها.. تنسلك كل همومك. ففي كل بقعة من قلبها تجد مكاناً تجلس فيه مختلياً إليها لتفرغ ما في قلبك من هموم. وحين ترفع عينيك عالياً ترى روح الله على هيئة حمامة السلام مرفرفة حولها. هي ليست ملاكاً وليست بشراً. لا تعجب ولا تستعجب قولي. نعم هي القدسية. هي كلؤوة في قلب محارة مخفية من عيون الحاسدين. إنها العشق الأول والأخير... معلولا.

ربي شلهوب